شارك المسلمون والنصارى واليهود بالمساهمة بأقامة مراسيم الاحتفالات في ألاعياد العامة في مدن الاندلس مجاملة أو تحبباً وتقليداً لايفصلهم بذلك الدافع أو العامل الديني ، وأنما كانت الرغبة والتمتع بممارسة طقوس الاخر واللهو وأحياناً التبرك او النذور التي اعتاد عليها أهل الاندلس وقد تأثر بها الآخرون من اهل الديانات والمذاهب ،وصار اعتقاد عند النصارى في الشمال الاسباني من المسلمين أن ارض الاندلس (الجنوب الاسباني) فقدسة وقد منحها الله تعالى حمايته ورعايته بحكم وجود الاسلام والايمان ، وصار بعض النسوة الاسبانيات يطلبن النذور اذا ماحملت فسوف تسافر الى الاندلس لتضع ولدها قرب المساجد العامة ومنهن من يحدث لهن لاسقاط بعد الحمل ، وقد سجل لنا التاريخ من أن سفارة أسبانية في عصر الخليفة عبد الرحمن الثالث حصلت على الموافقة من الخلافة الاندلسية بقدوم أميرة أسبانية لتضع حملها بالقرب من المسجد الجامع الكبير (مسجد الجماعة Aljama) في قرطبة وأن يرزقها الله ولداً ، وتكون قد حققت لها دمنية واليقين والثقة بمكانه المسجد في الاسلام ، وقد شاع ذلك الخبر المفرح في وساط المملكة الاسبانية الشمالية .

تعددت الاعياد والمناسبات الدينية عند المسلمين في المشرق والمغرب وأهمهما :

١- عيد الفطر المبارك نهاية رمضان .

٢- عيد الاضحى المبارك لاداء فريضة الحج .

٣- عيد المولد النبوي الشريف

٤- ليلة الاسراء والمعراج ٥- ليلة القدر المباركة في ٢٧ رمضان .

يحتفل مسلمو الأندلس بعيدي الفطر المبارك والاضحى المبارك فهما في الاصل وحدهما اللذان يعتبران يومي عطلة وطعام وشراب عند أهل الاندلس ، ومنهما تقام صلاة العيد في المساجد العامة بالمدن الاندلسية فيرتدي الاندلسي أبهى الحلل ، ويبدأ الحفل بالافطار الذي يتكون من قمح مهروش وحليب ، ويستمر الحفل بالافطار حتى ساعة متأخرة من الليل فتزدحم طرق مدن الاندلس ويتراش الناس بماء العطر المصنع محلياً من الازهار Azhar ويشربون من عصير البرتقال المعطر بالزهر وهذ ان العيدان هما المعتبران عند الفقهاء.

١- الونشريسي ، ابو العباس يحيى ت ٩١٢هـ / المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والاندلس والمغرب ، تحقيق : محمد حجي واخرون ، دار الغرب الاسلامي ن بيروت ١٩٨١، ج ١١ /١٥٢.

كما أعتبرت ليلة السابع والعشرين من رمضان ليلة أحتفال في المساجد والحصون والقلاع والقلاع (Alcala) وفي البيوت والدروب (adarve) في واسط الطبقات الغنية وأشتهرت هذه الليلة أيضاً بأبتياع الحلوى التي عدها البعض بدعة (١) .

يحتفل في يوم عاشوراء الواقع في العاشر من محرم بالصوم تأسياً على مقتل الا أبن علي عليه السلام ولم يكن المولد النبوي الشريف معروفاً وشائعاً علماً أن الفا كانوا يحتفلون بالمناسبة في الشمال المغربي ، وقد أدخل أحتفال المولد النبوي الفقير العرفي أمير سبته Ceuta وبذلك عم الاحتفال في مدن الاندلس والمغرب وكانوا يحتفلون فيه بمختلف الاطعمة والتزين زالتنزه وركوب الدواب واجتماع واختلاط النساء بالرجال في النزهة والطعام وعرفت ليالي المولد النبوي بحفلات وضرب الالات الموسيقية واستنكر بعض الفقهاء تصرفات المجتمع الاندلسي من الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وقد اورد في كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم صلى الله عليه وسلم معلومات عن ممارسة الاحتفال بالعيد بالاندلس والمغرب ، والذي قام به الفقيه العزفي ودعا الى أحياء عيد المولد النبوي الشريف هو مشاهدته أهل الاندلس الذين أصبحوا يشاركون جيرانهم القشتاليين في ليلة رأس السنة الميلادية (نابيداد navidades) ويؤكد ذلك سؤال ورد على أبي الاصيل أبن محمد التمبلي (عن ليلة يسميها الناس الميلاد ، ويجتهدون لها في الاستعداد كأحد الاعياد ، ويتهادون بينهم أصناف الاطعمة وأنواع التحف ، ويترك الرجال أعمالهم صيحتها ، تعظيماً لليوم ، ويعدونه (يغدوبه) راس السنة) (٢).

كما أورد الفقيه الونشريسي لنا أخبار عن أقامة حفل العنصرة من اعداد بأجراء الخيل والمبارزة وعدد بعض عادات كانت تقوم بها النساء في عيدا الذي صار عطلة متبعة بالاندلس وذكر أيضاَ أن الناس في الاندلس كانت أيام السبوت (السبت) والاحاد وتترك العمل فيهن (٣).

١- الطرطوشي ، ابو بكر محمد بن الوليد ٥٢٠هـ / الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الصالح ١٩٥٩ ، ص ١٤٠- ١٤٢ له ترجمة بالاسبانية .

٢- الونشريسي ، المعيار المعرب ، ج١١/١٥٠-١٥٠.

٣- أنصار السادة ، ج ١١- ٩٢-١٥١-١٥٢ وديوان أبن قزمان تحقيق فدريكو كورينطي

ذكر عريب بن سعيد القرطبي في تقويمه المعروف بتقويم قرطبة ، الاحتفال المشترك بالاعياد الموسمية وكذا بأعياد الاول من السنة الميلادية ، وبعيد المهرجان ، وذكر أيضاً أعياد يشترك فيها كل سكان الاندلس ، مع أنها كانت تحتفي باوليات المسيحيين (١).

واحتفل الاندلسيون ايضاً بيوم النيروز في فصل الربيع وربما كانوا يتنكرون فيه في حفل مهرجاني ويتراشون الماء في الطرقات والاسواق .

وكانوا يحتفلون كذلك بخميس ابريل وذلك بالاكثار من شراء المجبنات والاسفنج ويتنزهون رجالاً ونساء جماعاً ، فيتوجهون الى المصلى للتفرج (ويدخلون الحمام النساء مع الكتابيات بغير مزر ، والمسلمون مع الكفار في الحمام) (٢)

وجرت العادة بالتعطل يومي السبت والاحد ، كما تردد في بعض الفتاوي وهذان اليومان يوماً عطلة المسيحيين واليهود ، وكانت تقام فيها الطقوس الدينية ، وتدق الاجراس في الكنائس وتتلى التوراة في البيع ومن الاعياد الدينية اليهودية الفصح ، ويقع بين ١٤-٢٢ نيسان (أبريل وليلة الاولى ، ليلة – السدر – هي الاهم وتؤرخ لخروج اليهود من مصر (سفر الخروج الاصحاح ١٢) وتتلى في هذا العيد (الهكد) أو قصة الخروج ، كما كانوا يجرون فيه حفل الاربعة عشر طقساً ، وهو حفل يجمع بين الطعام والشراب والرمز ، وذها الحفل هو المعروف بـ(السدر) أي الترتيب ، لانه يجري بطريقة متتابعة رتبياً ، يبدأ فيها بصلوات ويتخللها تزيين المائدة بنباتات سبع كل منها يرمز لامر ، وكانوا يحيون الحفلات الكبرى في البيعة

-١, E.levi provencal l historie de l espagne musulman , paris , tomo I , pp . 171-172

٢- الطرطوشي ، الحوادث والبدع ، ص ١٤٢.

في حين كان حفل (السدر) يجري في البيت ومن أعيادهم ايضاً عيد (شبعوت) اولاسابيع وهو ذكرى نزول التوراة ، ويصادف يوم ٦ سيوان من سهودهم والعيد مناسبة أيضاً للاحتفال ببواكير الغلل والحصاد ويعتبره كثير من الدارسين أقدم من ظهور اليهودية لانه لايمثل في الحقيقة الا الاعياد القديمة التي كانت تمجد عطاء الارض واكثر اطعمة عند اليهود العسل والحليب وفي هذا العيد يتلون (الازهروت) او الانذارات ، وهي ٦١٣ وصية توارثية ، منها ما هو امر ومنها ما هو نهي)

وأشهر الاشعار التي تتلى في هذا العيد هي أشعار الشاعرين الاندلسيين سليمان بن جبيرول ويهود اللاوي وتقام يوم العيد صلاة بعد الظهر تسمى (همنحة) الهدية بعدها يتراش الناس بالماء وتتشابه به كثير من افراح هذا العيد بافراح عيد (العنصرة) عند المسلمين ، اذ لم تكن الاصول مشتركة .

اما عيد (سكوت) او (المظال) ويذكر بالفترة التي قضاها العبرانيون تحت مظال الصحراء اثناء التية منذ الخروج حتى مشارف فلسطين وتنصب المظلة بعد صوم الغفران للوصايا ، وكان الاحبار دوماً ينتقدونه (١) وينتهي العيد ب (سمحت توره) فرحة التوراة ، وتصادف اليوم التاسع من الاحتفال ، حيث تزين اماكن العبادة بالاضواء ويطوف المصلون حول (المقره) وهو تابوت وسط البيعة ، يرقصون حاملين السفريم او الغائف التوراة ، بحضور الاطفال ورقص النساء والرجال ، وهذه عادة استنكرها الاحبار ورفضوها (٢)

ويتم توزيع الحلويات والفواكه بعد هذا الطقس ، وينتهي الحفل باضرام نيران عظيمة تاتي على المظال ، ويسمح هذا المنظر بالتلسية والقفز ، ولهذا الحفل شبه بنيران عاشوراء .

١- أشتور، تاريخ يهود أسبانيا المسلمة ، مطبعة سفريم ، القدس ١٩٦٠، ج٢ /٢٧١.

٢- يهود الاندلس والمشرق ، أشراف يسخربن عمي ، القدس ، مطبعة ماكنيس ١٩٨٢، ص ٣٤٧.

(المكابيين) على الرومان وأنقاذ هيكل القدس ويستغرق العيد ثمانية أيام ، تظل فيها الشمعدانات مشتعلة دون أنقطاع تشفعها الافراح ، وفيه يهدى الاطفال اللعب . أما عيد (البوريم) الذي بقع في ١٤ أذار (مارس ويتميز بالافراط في الشراب ، وبه تعرض مسرحيات تذكر بأنتصار مردخاي على هامان وقصة أستيرا التوارانية وعيد ٩ اب (اوغسطس)وهو مناسبة صوم وحزن تذكيراً بأحداث تحطيم الهيكل الثاني على يد الرومان . وكان يهود الاندلس يرتلون فيه صهيونيات يهوداً اللاوي)

وعن دروش هشنة اوراس السنة الجديدة ، وكانوا يتحللون فيه من النذر ويصلحون ذات البيين ويكفرون عن ذنوب العام الذي أنقضى بتقديم (الفدى) وأقامة صلاة الغفران يوم (كبور) وكانت ترتل في هذا العيد نصوص من التوراة وأشعار سليمان بن جبيرول ويهود اللاوي وموسى أبن عزرة ، وكلهم من كبار الاندلس (١)

كانت تمارس هذا الاعياد اليهودية بحرية كاملة في المجتمع الاندلسي أحتراما للعقائد وأحترام من أهل الديانات الاخرى التي تسامحت مع الغير في تطبيق الشعائر الدينية ترافق الاعياد والمناسبات حفلات موسيقية وغنائية في البيوتات والقصور والدروب ، وعرض حفلات اللعب بالورق والشطرنج وكلها مظاهر تردد صداها في دواوين شعراء الاندلس وكتب التاريخ ، فهناك ساحر (يقلب العين) ويدهش المتفرجين .وهناك قهرمان ينط بلطف وأبداع وقارئ البخت والحظ على الرمال وبائع الاحجية والاعشاب يروج لبضاعته بسحر الكلام ، أما القصاصون ورواة الاخبار فأنهم

١- حاييم الزعفراني ، يهود الاندلس والمغرب ترجمة أحمد شحلات وعبد الغني أبو العزم ، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء ٢٠٠، ج٢/ف٧ .

ينقلون سامعيهم الى غابر الازمان ومسالك الممالك بجميل اللغة وغريبها والزجالون azjal يفتنون هواتهم بأبداعهم الذي يمزج بين الفصيح والعافي والقشتالي كما كانت سباقات الخيول والفرسان التي تقام عند الرملة او الثوابين في غرناطة Granada لاتقل متعة عن مشاهد صراع الحيوانات كالكلاب والديكة والثيران أو اللعب بالعصي وعرفت الازقة والدروب الضيقة من لهو الاطفال جميلة ، فهم فيها يجرون ويمرحون وهم فيها يحدثون دماهم الطينية او القصديرية أو أفراسهم الخشبية ، مظهر من أنواع اللهو والتسلية .

مظاهر التسامح الديني في الاندلس من خلال الاداب والابيات الشعرية :

عرض لنا الادب الاندلسي اروع امثلة عن التسامح والتعايش والحب والاعجاب بين أهل الديانات السماوية في بلد الاندلس ، تثبت مدى العلاقة الانسانية بين أبناء المجتمع الاندلسي حيث التعليق والمصاهرة ، وهذا ما أشار اليه المستشرق الفرنسي هنري بيريس بقوله (أن أي شعب مغلوب في أي قطر من الارض لم يحظ بما حظى به الشعب الاسباني أبان حكم المسلمين من تسامح تجلى في تطبيق العهود والقوانيين الاسلامية التي أعطت لاهل الكتاب حقوقاً كاملة في التعيش الكريم) (١)

لقد عشق عدد كبير من شعراء الانلدس الفتيات النصرانيات الجميلات الانيقات و قد تم وصفهن بصورةً رائعةً تثير المشاعر منها ما اورده ابن الحداد النمري الوادي أشي Guadix ، وقد عشق فتاة نصرانية سماها في ديوانه نويرة قال الوافر / (٢)

نويرة بي نويرة لاسواها ولاشك فقد وضح اليقين

١- هنري بيريس

٢- مجلة دراسات اندلسية ، العدد ١٤ سنة ١٩٩٥ ، ص٤٠

أن حب الشاعر لنويرة Nuria أوقعه في حب كل رموز النصرانية ورجالها وأماكنها يقول أبن الحداد (مجزوء الوافر) (١).

عساك بحق عيساك مريحة قلبي الشاكي
فأن الحسن قد ولا ك أحياني وأهلاكي
وأولعني بصلبان ورهبان ونساك
ولم أت الكنائس عن هوى فيهن لولاك

وقد أتسع حب الشاعر لمحبوبيه نويرة مضار يحب كل ماهو مسيحي : مثل سيدنا عيسى (ع) وأنجليه ، والقساوسة وصلباتهم ، والرهبان وكنائسهم ، والنصارى وأعبادهم أضافة الى التثليث بيت ورموزه والطقوس وانا شيدها ، قال أبن حداد (المنسرح) (٢) ٠

أفصع وجدي يوم فصح لهم بين الاريطى والدويحات
وقد أتو أمنه الى موعد وأجتمعوا فيه لمقنات
بموقف بين يدي أسقف ممسك مصباح ومنسق
وكل قس مظهر للتقى بأي أنصات وأخبات

أما الديوان الثاني في الشعر الاندلسي هو ديوان عبد الكريم القيسي الاندلسي (ق٩هـ/ ١٥م) ونجد منه مثالاً ثانياً نبته الحب والتسامح وسط أشواك الحقد والضغينته مشاعر القيسي عاش ظروف الاسر لدى النصارى ، وهي ظرف يعيش فيها الاسير عذاباً مادياً ونفسياً متواصلاً . فالقيسي وهو الفقيه الامام يكلفه النصارى بأعمال لاتليق بمقامة العلمي واليني قصد الاهانة والتشفى ، فيقول متألماً ضجراً (كامل) (٢) .

١- المقالة السابقة .

٢- ديوان عبد الكريم القيسي ، ص ١٩٨

واحسرتي ، بعد أشتغالي بالعلو م ودرسها وتلاوة القران

أمسى وأصبح خادماً متصرفاً لعبادة الاصنام والاوثان
أن أكن بالحفر مشتغلا أكــن بالهدم مشتغلاً مع البنيان
والكنس في يوم الجلوس صناعتي والرش يتبعه مدى الاحيان
فثيابهم أدرنها مغســولــة بيدي وثوبي – الدهر – بالادران

ومع ذلك نجد الشاعر القيسي لايحقد على النصارى بل ينسى عذابه ويهفو قلبه لفتاة نصرانية تدعى البيرة هي الاخرى – رغم الحواجز – تبادله هذا الحب فيقول (طويل) : (١)

فاعجب عباد الصليب صبية سبتني بوجه مثل بدر متمم
فبت حليف الهم من فرط حبها وبارتت بهجري في فراش تنعم
وكم نعمتني من لذيذ وصالها بمالم تصل نفسي له بتوهم
فقلبت منها الخد وهو مورد وثنيت بالثغر المليح التبسم
ومالت لفرط السكر وهي مريضة كميل الصبا صبحا بعض تنعم
ولولا عفافي واتقاء عتابها تمتعت بها بالمحل المحرم

بعد سقوط طليطلة (Toledo) عام ٤٧٨هـ /١٠٨٥م يد الفونسوالسادس Alfonso VI حاكم قشتالة Castilla تمسك أهل الاندلس بالبقاء بمدينتهم والعيش بها تحت الحكم النصراني المباشر لقد برر الباقون موقفهم جهراً وعلانية في المادة الشعرية : فاموالهم وارزاقهم ودروعهم وضياعهم مانعه لهم من التحول عن ارض تعلقوا بها ووجدوا بها مع حكم النصارى حماية وأمناً مقابل مايدفعونه من ضريبة مغرم كانوا يدفعون مثله وفي بعض الاحيان اكثر منه لامرائهم من المسلمين قال شاعر طليطلة (وافر). (٢)

١- أبن شريفة / البسطي ، ص ٢١٧.

٢- المقري / نفح الطيب ، ج٤ /٤٨٤.

ولاثم الضياع تروق حسنا نباكرها فيعجبنا البكور
يؤدي مغرم في كل شهر ويؤخذ كل صائفة عشور
فهم أحمى لحوزتنا وأولى بناوهم الموالي والعشير

وفي البيت الاخير يبدو التسامح واضحاً عندما يصف الشاعر المسلم على لسان من رضى بالبقاء في مدينة طليطلة مع النصارى وسماهم الموالى ويردفها بالعشير ووصل الامر ببعض من أندمج مع المحيط النصراني من أهل طليطلة الى التنصر فهذا فقيه طليطلة ابو القاسم الخياط لم يكتفي بالبقاء تحت النفوذ النصراني بل تنصر وبرر بقوله (طويل) : (١)

تلون كالحرباء حين تلون وابصر دنياه بمك جفونه
وكل الى الرحمان يومي بوجهه ويذكره في جهره ويقينه
ولو ان ديناً كان نقيا لخالقي لما كنت يوماً داخلا في فنونه

ومن مظاهر التسامح هذا التعايش السلمي مدح المسلم لليهودي ، وكذلك مدح اليهودي للنصراني وهم يعيشون في بلد الاندلس ، واحياناً طمعاً في مال او جاه فالشاعر ابن المنفتل القرطبي وهو يمدح ابن النغرلة اليهودي وقد استنكر ابن بسام الشنتريني والمسلمين هذا المدح ونددد به ، ومما قاله ابن المفتل يمدح ابن النغرلة ممجداً ومعظماً (مجزوء الكامل) : (٢)

هذا ابن يوسف الذي ورث الفضائل عن فواضل
شرف الزمان بمثله شرف الاسنة بالعوامل
من لم يلذ بجنابه لم يأهن الدهن المخاتل

١- ابن سعيد المغربي / المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ١٩٦٥، ج٢ /٢٢

٢- أبن بسام الشنتريني / الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / تحقيق أحسان عباس ، دار العلمية بيروت ١/٢/ص٧٦٢

ولم نسمع بان ابن المنفتل المسلم الاندلسي قتل لانه ذكر حقاً او باطلا – انه اعتنق اليهودية عندما قال . (١)

أدين بدين السبت جهراً لديكم وان كنت في قومي ادين به سراً

أما ابو السحاق ابراهيم بن الفخار اليهودي فقد مدح الفونسوا الثامن Alfonso VIII فراى ان لا افضل من دعاء لحضرة الفونسو باستمرار نعيمها وبهجتها ، ولا اجمل من تشبيه بلاط جلالة ومهابة في القلوب بتراب مدينة القدس طهارة وقداسة في النفوس (المديد): (٢)

حضرة الاذفشنش لابرحت غضة أمها عرس

فاخلع النعلين تكــرمــة في ثراها أنها قدس

التواضع والتسامح والاحترام والحرية والعدالة سادت بشكل واسع في المجتمع الاندلسي ، ولكن بعض الشعراء حذر وأخذ الحيطة من بعض النفوس والعقول التي تحمل روح التعصب الديني والعرقي والقبلي والطبقي بقول احد الشعراء (المنسرح): (٢)

واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيت من داري

واتخذ الناس كلهم سكناً ومثل الارض كلها دارا

١- المصدر السابق ٧٦٥/١/٢

٢- ابن سعيد المغربي / المغرب في حلى المغرب ، ج٢٣/٢.

٣- المقري / نفح الطيب ، ج٢ / ٣٥٥.

وسمة التواضع لبني البشر والتسامح تبدو في شعر ابي العرب الصقيلي (طويل) (١)

أذا كان اصلى من تراب فكلها بلادي وكل العالمين أقاربي

أما ابن عربي المرسي (مرسية murcia) فقد جسم سمو النفس وطهارة القلب ونقاء الروح في قوله (طويل):

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لاوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قران

أدين بدين الحب أني توجهت ركائبه ، فالحب ديني وايماني

<u>التسامح في المصاهرات بين أهل الديانات في الاندلس :</u>

تطرقت المصادر على المصاهرات بين المسلمين والمسحيين في الاندلس طيلة التاريخ وقد كانت شائعة سواء في داخل الاندلس ذاتها أو مع الامارات والممالك الاسبانية النصرانية الشمالية ، وكان الحكام يشجعون هذه المصاهرات ، بل أن بعضهم قد تزوج من أرملات نساء أسبانيات ، مثل زواج عبد العزيز بن موسى بن نصير ، الذي تزوج من أرملة الملك الاسباني لذريق Rodrigo أخر ملوك القوط الذي قتله المسلمون ، ومن حكام المسحيين الذين شجعوا هذه الاتجاه مورتاجو Mortageo المتوفي سنة ١٧٣ هـ / ٧٨٩م ، الذي أستقل في جليقية ، وبالغ في التودد الى المسلمين وشجع بحماس زواج الفتيات المسيحيات من المسلمين ، وكان هذا الحاكم ، نفسه أبنا الفونسو الاول من أم عربية ، ولكن دعوته لم تلاق النجاح بسبب بعض النصارى المتعصبين ورجال الدين له . (٢)

١- المصدر السابق ، ج ٣ / ٥٧٠ .

٢- عنان / محمد عبد الله / دولة الاسلام في الاندلس ، القاهرة ١٩٦٩، ج٢١٩/١، الحجي / عبد الرحمن .

وقد قامت علاقات مصاهرة قوية بين بعض الاسر المتنفذه في منطقة الثغز الاعلى الاندلسي مثل بني قسى المولدين ، بين حكام نافار في الشمال (١)

ويبدوا أن مثل هذه الاسر المولدة قد أرادت تقوية نفوذها بالزواج هذا فضلا عن عامل الجوار والقرب الذي يربط بين الطرفين وكانت علاقات المصاهرة هذه من القوة بحيث كان بنو قسى يقفون أحياناً مع أمهارهم النافاريين بوجه حكومة قرطبة ، أو حكام المسحيين الاخرين . (٢)

ومن المصاهرات الطريفة التي حدثت في عهد الامارة ، زواج الامير عبدالله بن محمد من أحدى الاميرات النافاريات ، وهي ونقه lnga أبنة خرتون بن غرسية Fortun Garces المعروف بالانقر ، الذي أسره الامير محمد بن عبد الرحمن ، وسجنه في قرطبة لمدة عشرين سنة (٣)

وكانت الاميرة ونقة قد تزوجت قبل ذلك من أميرنا فاري هوازنا رين شلنجة Aznar sanchez وانجبت منه لبنة ، هي طوطة Toda ، التي ستصبح ملكة نافارا ، ويعاصر الخليفة عبد الرحمن الناصر وتفد عليه في سفارة سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م ساعيه الى عقد معاهدة سلم وصداقة مع قرطبة (٤)

١- ابن حزم القرطبي / جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص٥٠٢-٥٠٣.

٢- العذري (أبن الدلائي) كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار (نشر بعنوان نصوص عن الاندلس) تحقيق عبد العزيز الاهواني ، مدريد ١٩٦٥ ، ص٣١ -٣٢.

٣- ابن عذاري المراكشي البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ج٢ – ٩٧

٤- المقري ، نفح الطيب ، ج١ – ٣٦٦

أما ثمرة زواج الاميرة ونقة الثاني من الامير عبد الله فكان أبنا ، وهو الامير محمد والد عبد الرحمن الثالث وبذلك تكون الاميرة طوطة عمة الخليفة عبد الرحمن الناصر لانها أخت محمد والد الناصر من أمه ونقة (١) وتذل هذه المصاهرة على مدى العلاقات المتشابكة التي قامت بين المسلمين والنصارى جيرانهم بالشمال ، مما كان له أثر تعزيز التسامح والمحبة والاختلاط وأنتقال الحضارة .

لابد من التوضيح أن البيئة الاندلسية كانت تتم بالتنوع والتعدد ليس فقط في طبيعة أرضها وما يكونها من سهول وجبال وسواحل ، وما يعلوها من الوان الطقس المختلفة ، ولكن كذلك في طبيعتها البشرية التي تشكل من أجناس وأعراق طهرها في فلسفته ، غير مفرق بين كذلك في طبيعتها البشرية التي تشكل من أجناس وأعراق طهرها في فلسفته ، غير مفرق بين سكانها الاصليين ، والواقدين اليها من عرب وبربراً ، مع وجود فئات أجتماعية متبانية من حيث مستواها المعيشي ، بدءاً من طبقات الامراء والحكام ومن اليهم من ذوي الغنى الفاحش الى الفقراء والمعوزين ، مما ظهرت معه من الترف المسرف السفيه المقبل على الدنيا بلهف شديد والى جانبها موجة من الزهاد الصارمين في التعامل مع النفس ، بتقشف برونه أقرب الى تحقيق التعبد البعيد عن أي أنحراف (٢) .

ظاهرة أتخاذ الجواري من النصرانيات ذات محاسن جمالية زادت وأتسعت في عصر الطوائف بالاندلس ، وأصبحت تجارة الجواري رائجة بشكل واسع وقد ساهمت في تفسخ المجتمع الاندلسي وعكف الشباب من الزواج ، حتى صارت الجارية رخيصة الثمن لاتتعدى دراهم فضلا عن تناول الخمرة ومظاهره اجتماعية غير اخلاقية نهى الاسلام عنها وتصدى لهذه الممارسات الفقهاء والشعراء

١- الحجي ، اندلسيات ، ج ١ ، ٣٦٦

٢- عباس الجراري / التسامح الديني وأثره في حضارة الاندلس ، ص٤١ من كتاب الحضارة الاسلامية في الاندلس ومظاهر التسامح ، تقديم محمد مفتاح ، تنسيق عبد الواحد أكمير ، ط ١ الرباط ٢٠٠٣.

ومما ورد من شعر عن الجبار صاحب الارجوزه وانتقاده لتلك المظاهر عن أمراء الطوائف قوله :

فاهملوا البلاد والعبادا وعطلوا الثغور والجهادا
وأشتغلت أذهانهم بالخمر وبالاغاني وسماع الزمر
وزادهم في الجهل والخذلان ان ظهروا عصابة الصلبان
فأستولت الروم على البلاد وأستعبدوا حرائر العباد (١)

توجهات أنتقادات للفقهاء لعدم ردعهم لمظاهر الفسق والانحلال الاجتماعي وتمزق الاخلاق وقد تصدى الشعراء في قصائدهم كابن البتي والبني ، وأبن خفاجة ، علي نحول ماذكر الاول :

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب أدلبح في الظلام العاتم
فمالكتم الدنيا بمذهب مالك وفسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب الدواب بأشهب وبأصبغ صبغت لكم في العالم (٢)

أزداد التزاوج مع مرور الزمن بين العرب والاسبان سرعة وشمولاً حتى صار الموثقون والعدول يخصصون فصولاً من كتبهم لكتابة صيغ نموذجية لعقود زواج المسلمين بالكتابيات (٣)

١- أبن بسام الشنتريني / الذخيرة ، تحقيق أحسان عباس ، ط١ الدار العربية للكتاب ، بيروت ق١/ م٢/ ص ٤٣٠.

٢- عبد الواحد المراكشي / المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، طبعة الاستقامة – مصر بلات ص١٧١

٣- الجزيري ، المقصد المحمود في تلخيص الوثائق والعقود / مخطوط الخزانة العامة الرباط رقم ٥٢٢١ ض١

مما تجدر الملاحظة الى ان عدداً كبيراً من أهل الاندلس الذين كانوا على دين اليهودية والنصرانية او المجوسية قد اسلموا تدريجياً او بتحول سريع ومفاجئ نتيجة الاقتناع ، او بسبب ضعف بنيات هذه الديانات وما كان يرتبط بها من سلوك غير لائق ، وكان ينعمون في جمع الاموال بجومن التسامح من قبل المسلمين وما كان هذا التسامح يتجلى مع الذين يسلموا مالم تصدر عنهم مواقف تزعج الحكومة الاسلامية او تحاول خرق التشريعات الاسلامية السائدة ، ومادامو محترمين للعهود والمواثيق وما تنص عليه من التزامات متبادلة (١) ظهر التغزل بالنصرانيات وبجمالهن وأناقتهن وبساطتهن وميلهن للمسلمين بالزواج او العشرة والمتعة لتعلق الشعراء بهن وتصورهن باجمل صور الشعر الاندلسي الذي أذهل عقولهن ووقعن في حب عدد كبير من الشعراء منهم أبو عبد الله بن أحمد بن الحداد الذي جن عقله بمحبوبته نويره كما ذكرنا فيقول :

وفي شرعة التثليث فرد محاسن — تنزل شرع الحب من طرفة وحيا
وأذهل نفسي في هوى عيسوية — بها ضلت النفس الحنيفية الهديا
فمن لجفوني باكتماح نويرة — فتاة هي المردى لنفسي والمحيا (٢)

ويظهران أبن الحداد الشاعر الاندلسي المسلم كان يحضر في الكنائس أثناء المناسبات مثل يوم الفصح برفقة نويرة محبوبته وهذا ما يلاحظ بالأبيات :

أهيم فيها والهوى ضله — بين صوامع وبيعات
فصح وحدي يوم فصح لهم — بين الأريطي الدويحات
وقد أتوا منه الى موعد — وأجتمعوا فيه لميقات
لموقف بين يدي اسقف — ممسك مصباح ومنساة (٣)

١- الجراري / التسامح الديني وأثره في حضارة الاندلس ، ص ٤٥، ٤٦.
٢- أبن بسام الشفتريني / الذخيرة ، ق١ ، م ٢ ، ص٧٠٩.
٣- المصدر السابق / ص٧٠٥.

تم زواج عيسى بن كزاحك بسارة القوطية بنت المندبن غيطشة ، ثم زواجها الثاني بعد وفاة زوجها الاول بعمير بن سعيد اللخمي (١) وزواج الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير بأيكونيا أم عاصم وقد خطبت بمكانة متميزة حتى حاولت أجباره على التنصير (٢) وزواج زياد بن نابغة التميمي بامراة أسبانية كان لها دور مميزاً في أحداث فتح أسبانيا (٣)

١- أبن القوطية القرطبي / تاريخ أفتتاح الاندلس ، نشره خوليان ربيرا ، مدريد ١٩٢٦ ، ص٦ .

٢- مؤلف مجهول / أخبار مجموعة / نشر خوليان ربيرا ، ص ٢١.

٣- أبن عذاري المراكشي / البيان المغرب / ج٢ / ٢٣ .

تزوج الحاجب المنصور العامري ابنة الملك الاسباني شانجه ابركة حاكم نبرة بنبلونة Pamplona وقد اسلمت وانجبت له ولدة عبد الرحمن الملقب شنجول Sanchnel تصغير شانجة نسبة الى جده لامة ملك بنبلونة وذلك في سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م بعد عقد صلح مع الحاجب المنصور العامري ، وقد وفد الملك الاسباني الى قرطبة في ٣ رجب ٣٨٢هـ / ١٤ ايلول / سبتمبر ٩٩٢م وابدى من مظاهر الخضوع مالاسبقة له اذ قبل الارض بين يدي الحاجب المنصور وقبل يدي حفيده عبد الرحمن وقد ميه في سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م اهدى ملك ليون Leon أيضاً ابته تبريسا teresa الى الحاجب المنصور فأعتقها ايضاً وتزوجها وكان ذلك عربوناً لعقد الصلح بين الطرفين كما تزوج المامون بن المعتمد بن عباد حاكم امارة أشبيلية زائدة التي انجبت له ادفونس(١)

شرع المجتسب فتوى من الفقهاء بزواج المسلم المريض ، ففي رسالة ابن عبد الرؤوف : (يؤجل الرجل المريض الممنوع من مسألة ان لايتزوج مادام مريضاً مسلمة ولاذمية) (٢)

وجاء في الفتوى رقم ١٦ من فتاوي ابن اصبع القرطبي ان صبيين مسلمين توفيت امهما وام الام نصرانية وام الاب مسلمة فلمن تكون الحصانة ؟ وكانت الفتوى أنها تكون لأم الام (٣)

١- أبن عذاري المراكشي / البيان المغرب ، ج٤/ ٥٠.

٢- في أداب الحسبة والمحتسب ، ص٨٢.

٣- وثائق في احكام أهل الذمة ، نشر محمد عبد الوهاب خلاق ، ص ٨٦ .

التسامح في منح الوظائف للطوائف الدينية :

تم منح الوظائف مدنية في الحكومة الاندلسية الى أهل الديانات من نصارى ويهود ومنهم من كان قريب جداً من الامير والخليفة والسلطان الاندلسي نظرا للثقة وروح التسامح والحاجة الى النصراني واليهودي في أدارة الاندلس ، لانه يشكل جزء من المجتمع الاندلسي ، والنصوص التاريخية تشير الى أسناد وظائف عالية ومناصب رفيعة في كل مرافق الحياة مثل الدبلوماسية والادارة والاقتصاد والمال وجمع الضرائب والجيش ومهن كالطب مثل الطبيب اليهودي حسداي بن شبرط طبيب الخليفة عبد الرحمن الناصر .

ومثل الى الحاخام أسماعيل بن النغريله (وأسمه الاصلي صمويل ناغد) في ظل الدولة الزيرية ، وفي بلاط حبوس الزيري بغرناطة Granada ، فقد قربه حبوس الذي أسند اليه جباية الضرائب في أمارته ، كما قربه باديس بن حبوس وقد عينه وزيراً مطلفاً وخبيراً في شؤون الحرب حظى أسماعيل بن النغريلة بتمجيد من شعراء مسلمين ويهود ، ومنهم أبن المنفتل – ورد ذكره – وله فيه قصائد كثيرة تمدحه للاسجداء والتقرب والاعجاب بشخصه ومنها :

قرت الفضائل والفواضل فشأى الاواخر والاوائل

بسقطوا برفعة فضله كالشمس في شرف المناقل (١)

١-أبن بسام الشنتريني / الذخيرة ، ق١، م٢، ص٧٦٣.

نظراً لسعة روح التسامح والتساهل والحرية التي حصل عليها النصارى واليهود ، فقد أستغل عدد منهم في تصرفاتهم الى مضايقة المسلمين وأزعاجهم والتحرش بالاخلاق والفضائل الاسلامية ، وقد أنكر ذلك عدد من الشعراء منهم أبو الحسن أو أبو الحسين يوسف بن الجد ، معتبراً تحكم اليهود أيذاناً بقيام الساعة بقوله :

تحكمت اليهود على الفروج وتأهت بالبغال وبالسروج
وقامت دولة الانذال فينا وصار الحكم فيها للعلوج
فقل للاعور الدجال هذا زمانك أن عزمت على الخروج (١)

كما أنتقد الشاعر أبو حفص عمر الزكرمي تصرفات اليهود وكان قد طولب عكس كان بتولاه يهودي :

يأهل دانية لقد خالفتم حكم الشريعة والمروءة فينا
تالي أراكم تأمرون بضديا أمرت ، ترى نسخ الاله الدنيا
كنا نطالب اليهود بجزية وأرى اليهود بجزية طلبونا (٢)

١- المصدر السابق ، ق٢ / م ٢ ، ص ٥٦٢.

٢- السلفي ، أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السلفي ، أعداد وتحقيق أسحان عباس ، دار الثقافة ، بيروت بلات ، ص ٣٧- ٣٨.

أن التسامح والاحترام الذي منحه الاسلام لاهل الديانات في الاندلس نرى أن البعض أنتهز وأشتغل الامر ، وقد بلغ طغيان الوزير ابن النغريلة فداه بالاستهزاء بالمسلمين وأقسم أن ينظم القران في موشحات يغنى بها ، مضمناً الاية ٩١ من سورة ال عمران :

نقشت في الخط سطراً　　من كتاب الله موزون
لن تنالوا البر حتى　　تنفقوا مما تحسبون (١)

وكان لنتيجة طغيان أبن النغزالة أن قتلته قبيله صنهاجة البربرية ، وقد خاطبه الشاعر أبو أسحاق الالبيري أستعراض فيها مظاهر أستبدال اليهود لغرناطة وفيها يقول :

الاقل لضهاجة أجمعين　　بدور الزمان وأسد العرين
فغزا اليهود به وأنتموا　　وسادوا وتاهوا على المسلمين
لقد ضجت الارض من فسقهم　　وكادت تمديد نبا أجمعين
تأمل بعينك أقطارها　　تجدهم كلاباً بها خاسئين
وأني حللت بغرناطة　　فكنت أراهم بها عابثين
وقد قسموها وأعمالها　　فمنهم بكل مكان لعين
وهم يقبضون جبايتها　　وهم يخصمون وهم يقضمون
وهم يلبسون رفيع الكسا　　وأنتم لأوضعها لابنون
وهم أمناكم على سركم　　وكيف يكون خؤون أمين (١)

١- ابن سعيد المغربي ، المغرب ، ج٢/١١٤.

٢- ديوان ابو اسحاق (الالبيري، تحقيق محمد رضوان الداية ،

ومع كل ماجرى من أحداث بحق الاسلام في الاندلس فقد كان جو التسامح ينتج للثقافة اليهودية أن تزدهر ، أذا تاج للعبرية أن تطور تأثراً بالعربية ، كما أتاج تجديد أدبهم وشعورهم خاصة بتأثير من الشعر الاندلسي ، والموشحات والارجال .

لقد أظهرت التجربة الاسلامية مع غير همن سائر الديانات والملل والنحل عامة ، بعقل وعلم وبواقعية وتوازن وأعتدال دون التزام أو أكراه ، ودون خشية على العقيدة من التحرير الفكري مهما يكن تجرؤه وأطلاق العنان لنفسه ، بعيداً عن الاكتفاء بأعمال النقل والتقليد ، فضلاً عن التحجر والتعصب ، وبفضل هذا التسامح وما اتيح من تلاقح عرقي وتواصل ثقافي وحضاري ، برز طاقات للابداع خلقت تراثاً عربياً أسلامياً متميزاً طبع على أوربا والانسانية (١).

استمر جوا التسامح والتعايش السلمي بين الطوائف الدينية بعد أنهيار الخلافة في عصر دويلات الطوائف فتولى الكثير من النصارى واليهود مناصب في بلاطات ملوك الطوائف نذكرهم النصراني ششند Sisnando مستشار المعتمد بن عباد حاكم أشبيلية واليهودي صمويل النغريلة وابنه يوسف – كما ذكرنا – وزيري باديس بن جبوس حاكم غرناطة ، واسره بني حداي اليهودي التي ولى افرادها مناصب الكتابة في بلاط بني هود حكام سرقسطة Zaragoza وكانوا على درجة عالية من لبثقافة الادبية شعراً ونثراً . تسامح وتعاطف الفقيه وقاضي الجماعة في غرناطة أحمد بن محمد في أجابة سؤال ورداليه من السلطان المرابطي على بن يوسف بن تاشفين حول النصارى المعاهدين الذين رحلوا عن أشبيلية ، كما ورد في الفتوى أن للرهبان والقساوسة والسائر أهل الذمة – من أنهم أذا أفتقر منهم وعجز لزمانه (أي مرض) وهرم عن الاكتساب أن ينفق عليه من بيت المال على سبيل الانعاش ، أو على طريق الاحتساب) (٢)

١- عباس الجراري / التسامح الديني وأثره في حضارة الاندلس ، ص٥٥ – ٥٦.

٢- الونشريسي ، المعيار المعرب

صدرت محاذير دينية من قضاة وفقهاء وأهل الحسبة (المحتسبون) بعدم التقليد بالنصارى ومرافقة النساء لكتابيات لانه يشكل مساس بالاخلاق الاسلامية ، لكن نجد نساء أشبيلية المسلمات يضربن صفحاً عن أوامر المحتسب أبن عبدون أصدار فتوى ودعوة قطيعة بين المسلمين واليهود ولم تنجح ندائاته ، لان أجتماع الطوائف الاندلسية أصبح أمراً مألوفاً في الاسواق والمرافق الاجتماعية التي نهى عنها محتسب أشبيلية (١)

تفشى حب الشباب الاندلسي بالنصرانيات بشكل واسع على الرغم من التحذيرات والتوصيات بل أن عدد من الشباب الاندلسي ضربوا بتوجيهات الفقهاء عرض الحائط فولعوا بالفتيات النصرانيات الاسبانيات الجميلات الشكل والقامة ، وعشقوهم الى درجة لاتصدق حتى أنهم أصبحوا ينتظروهن ويترددون على الكنائس أيام الاحاد والمناسبات الدينية لرؤية معشوقاتهم المسيحات الاسبانيات وتبادل الحب والخطابات الغرامية معهن (٢)

تباهى أبن الخطيب الغرناطي بالنساء الاندلسيات في وصف لهن قائلاً (وحريمهم حريم جميل موصوف بأعتدال السمن وتنعم الجسوم وأسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة ، الا أن الطول يندرفيهن ، وقد بلغن من التفينن في الزينة لهذا العهد ، والمظاهرة بين المصبغات والتنافس في الذهبيات بالخلف والديباجات ، واالتماجن في أشكال الحلي الى غاية بعيدة) (٣)

١- المصدر السابق

٢- أبن بسام الشنتريني / الذخيرة في محاسن أهل الجزية / تحقيق أحسان عباس ، طبعة ليبيا – تونس ١٩٨١، ق١/ ص٧٠٥- ٧٠٧،

٣- ابن الخطيب الغرناطي ، اللمحة البدرية في الدولة النصرانية ، والافاق الجديدة ط. بيروت ١٩٧٨/ص٤١.

كان المسلمون منتشرون في البلاد الاندلسية كلها ولاسيما في المناطق التي كانت أسلامية قبل سقوط غرناطة ، بل كانت هناك جاليات مسلمة كثيرة في مناطق لم يستقر المسلمون فيها بأعتبارهم فاتحين مثل نبرة وقطلونية وجليقية . وكان يطلقون على هؤلاء المسلمين الذين الفوا نسبة كبيرة من مجموع السكان اسم المدجنين (دجن – خضوع) وكان هؤلاء المدجنون يعيشون بعد سقوط غرناطة في ظل سياسة معتدلة فيها كثير من التسامح ، ولاسيما أنهم كانوا المظطلعين بالحرف والمهن المختلفة فكان على اكتافهم يقوم البناء الاقتصادي للبلد ، ولهذا فقد أحسن المسيحيون معاملتهم – وعلى أيدي هؤلاء ظهر طراز جديد من الفن المعماري الاندلسي ينسب اليهم بفن المدجنين ، طراز يجتمع بين عناصر أسلامية ومسيحية مشتركة يعبر عن روح التسامح والتعايش بالمهن وتوجد منه نماذج رائعة في عدد من المدن الاسبانية مثل طليطلة وتيروال Tuerel وسهلة بنو رزين ومما تجدر الاشارة الى أن معاملة أسبانيا للمدجنين تغيرت وجرت عملية طرد اليهود ومحاولة أجبار المسلمين على التنصر بعد سقوط غرناطة وتم طردا الالاف من الاسرا الغرناطية المسلمة الى مختلف مدن الشمال الافريقي في ظروف قاسية في سابقة خطيرة بالتاريخ وقام هؤلاء الاندلسيون المطرودون الى المغرب بتعمير كثير من مدن المغرب وقسم كثير منهم لايزال يحتفظ باسمائهم الاسبانية القديمة .

الاسوء ماقابله بعض القسسة والرهبان المتعصبون في ظل محاكم التفتيش ومنهم الكاردينال خمينس دي تيسرنيروس الذي وفد على غرناطة في تموز يوليو ١٤٩٩م وتمكن بسياسة هي مزيج من الوعود والارهاب من تحويل الكثيرين الى النصرانية كما حول كثير من مساجد غرناطة الى كنائس ثم راي ان الثقافة العربية الاسلامية تمثل خطراً على جمهوره في التنصير ، فأمر بجمع كل ما أستطاع جمعه من الكتب العربية من اهالي غرناطة وارباضها ، ونظمت منها اكداس ضخمة في ميدان باب الرملة Plaza de bibarrambla ، وأضرم النارفيها وسط حفل

كبير من الاسبان المتاسف والمتالم منهم على تراث الاسلام وكان موضع ادانة عنيفة من النصارى المنصفين ونقد المؤرخين المعتدلين .

التسامح والتشابه في الملابس والماكل والمشرب والسلاح بين الطوائف في الاندلس :

أعتاد أهل الاندلس أتخاذ أزياء خاص بهم كالعمائم والسروال والاغطية الخشنة ، ولا غزو فقد ظهرت ملامح التأثير الافرنجي في الزي الاندلسي بوضوح ، خاصة في الملابس الحريرية المطرزة والقلانس (١)

وصف أبن الخطيب الغرناطي لباس أهل الاندلس عامة وغرناطة خاصة بقوله (ولباسهم الغالب على طبقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبغ شتاء تتفاضل أجناس البزر منه بتفاضل الجدات والمقادير ، والكتان والحرير والقطن والمرعزي والاردية الافريقية والمقاطع التونسية والمازر المشفوعة صيفاً فتبصرهم في المساجد ايام الجمع كانهم الازدهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الاهوية المعتدلة)(٢)

واشار الى العمائم بقوله (والعمائم تقل في زي اهل الحضرة الاما شذ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم والجند العربي منهم) (٣)

١- ليفي بروفسال / حضارة العرب في الاندلس – ترجمة ذوقان قرقوط ، بيروت بلا. ت. ، ص٨٦.

٢- أبن الخطيب الغرناطي ت ٧٧٦هـ / اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، منشورات دار الافاق الجديدة ط٢ بيروت ١٩٧٨، ص٣٨-٣٩.

٣- المصدر السابق ، ص ٣٩.

اجبرت ام عاصم (ايلونا) الوالي عبد العزيز موسى ارتداء الزي النصراني فامتثل لاوامراها لحبها كما جاء بالنص (ثم أن ابنه عبد العزيز تزوج أمرأة لرذريق يقال لها ام عاصم فهم بها فقالت له ان الملوك أذا لم يتتوجوا فلا تلك لهم فهل لك أن أعمل لك مما بقى عندي من الجوهر والذهب تاجاً فقال لها ليس هذا في ديننا فقالت له من أين يعرف أهل دينك ما انت عليه في خلوتك فلم تزل به حتى فعل فبينما هو يوماً جالس معها والتاج عليه أذ دخلت أمراة كان قد تزوجها زياد بن النابغة التميمي من بنات ملوكهم فراته والتاج على راسه فقالت لزياد الا أعمل لك تاجاً فقال ليس في ديننا استحلال لباسه فقالت فودين المسيح أنه لعلى أمامكم فاعلم بذلك زياد حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع ثم تحدثا به حتى علمه خيار الجند ثم هجموا عليه فقتلوه في عقب سنة ثمان وتسعين) (١)

ويذكر أبن الخطيب الغرناطي أن الامير أبن مردنيش حاكم شرق الاندلس في العصر المرابطي الاخير حيث (مال الى أتخاذ زي الروم)(٢)

أشار المقري الى أن أمراء وأعيان الاندلس غالباً ماتزينوا باللباس الافرنجي واثناء حديثه عن انواع الملابس التي أنتشرت خلال العصر المرابطي يشير الى أشتراك المسلمين والمستعربين في الاندلس في صناعة زي من جلد القلنية .

وصف المقري الزي الاندلسي في السلم والحرب بقوله (وأما زي أهل الاندلس مالغالب عليهم ترك العمائم ، لاسيما في شرق الاندلس فأن أهل غربها لاتكاد فيهم قاضياً ولافقيهاً مشاراً اليه الا وهو بعمامة ، وقد تسامحوا بشرقها في ذلك ... وأما الاخبار وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمة في شرق منها أو في غرب أوا بن هود الذين ملك الاندلس في عصرنا رأيته في جميع أحواله ببلاد الاندلس وهو دون عمامة ، وكذلك أبن الاحمر الذي معظم الاندلس الان في يده ، وكثير مايتزيا يلاطينهم وأجنادهم نرى بزي النصارى المجاورين فسلاحهم وأقبيتهم من الاشكرلاط وغيره كأفتيتهم ، وكذلك أعلامهم وسروجهم)

١- مجهول / أخبار في فتح الاندلس ، نشر مكتب عنبر – دمشق عن طبعة مجريط ٨٦٧هـ - ص٢٠

٢- أعمال الاعلام / القسم الاندلسي / نشر ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٥ط٢ / ص٥٦١.

ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطعن ، ولايعرف الدبابيس ، ولاقسي العرب ، بل يعدون قسي الافرنج للمحاصرات في البلاد ، أو تكون للرجالة عند الصافة للحرب ، وقليلا ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم لان يوتروها ، ولاتجد في خواص الاندلس وأكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان ، الا أنه يضعه على راسه منهم الاشياخ المعظمون ، وغفائر الصوف كثيراً مايلبسون حمراً وخضراً والصفر مخصوصة باليهود ، ولا سبيل الى يهودي أن يتعمم البتتة والذؤابة لايرخيها الا العالم ، ولايصرفوهنا بين الاكتاف ، وأنما يسدلونها من الاندلس ، وأن رأوا في رأس مشرقي داخل الى بلادهم شكلاً منها أظهروا العجب والاستظراف ، ولايأخذون أنفسهم بتعليمها لانهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم وكذلك في تفصيل الثياب) (١)

١- المقري / نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب / تحقيق أحسان عباس ، دار صادر ط ٥ بيروت ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م ، ج١ / ٢٢٢-٢٢٣ الاشكر لاط ECARLATE نوع من الجوخ قرمزي احمر

التسامح والتعايش والتاثير بعادات وتقاليد بالغير من اهل الديانات في بلد الاندلس :-

كثيراً ما تاثر النصارى واليهود في الاندلس بعادات وتقاليد وممارسات ثقافية وأجتماعية كما أخذ المسلمون يهتمون بثقافات الديانات السماوية ، كما أشاعوا روح التسامح في الاختلاف والتنوع والاستفادة أو التطوير والتصحيح لتأليف بعض المضفات في الرد على الافكار خاطئة كما أن الفكر اليهودي شهد نهضة علمية في شتى المعارف خلال العصور الطوائف والمرابطين فظهر أعلام الادباء بفضل التسامح والتأثيرات بالادب الاندلسي منهم أسحاق الفاسي اليهودي ، وأبو الحسن يهود أو ابو الحسن يهودا وغيرهم من ذاع صيته في الادب بفضل أمكانياتهم المادية للوصول الى مأدبهم (١)

أشتهر المفكر الديني أسحاق الفاسي ت . ٤٩٧هـ / ١١٦٣م في الدراسات التلمودية في الاندلس في شرحه للتلمود وقد أستغرق عمله نصف قرن من الزمان ، وبعد هجرته من قلعة حمود أستقر في فاس ، ثم أنتقل الى مدنية اليسانه Lucena بغرناطة ، حيث أسس مدرسة أصبحت من أهم مراكز الدراسات التلمودية وخرج عدد من التلاميذ منهم بادوخ بن أسحاق الذي صنف كتاب الخلق ، ويوسف بن ماير الذي خلف شيخه كريس للاكاديمية التلموذية في اليسانة (٢) ، ويأتي بعده بالسمعة أبراهم بن عزرا ٤٦٦-٥٦٥هـ / ١١٦٣م الذي شرح القوانيين التلمودية في ٢٤ مجلداً ، الى جانب نبوغه في مجال الشعر (٣)

١- حاييم الزعفراني ، الف ستة من حياة اليهود بالمغرب ، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم ، طبعة الدار البيضاء ، ١٩٨٧، ص ١٣ .

٢- Abdou ,Mususlmans Andalous et Judeo- Espagnols, Casablanca 1953,p.188

٣- المرجع السابق / ص ١٩١.

كما ظهر علماء في الفلسفة منهم يهود ابن صمويل اليفي المعروف في الادب الاندلسي يابي الحسن ، وقد الف كتاباً هاماً عبر فيه عن أرائه الفلسفية دون معارضة أي سلطة أسلامية (١) فضلاً عن أبي عمر يوسف الصديق الذي صنف مؤلفاً في الفلسفة هدف من ورائه الى تعريف معاصيريه بالحقائق الكبرى للاخلاق وذكر الصديق في مقدمة كتابه ان أنتاجه ليس سوى تطبيق للفلسفة العربية الاندلسية السائدة بعصره (٢)

وحدث التفاعل الفلسفي اليهودي الاسلامي في الاندلس عند ابي جعفر يوسف بن احمد بن حسداي اول المتاثرين بابن باجة (مدينة باجة Beja) الذي كان يراسله بكيفية مستمرة (٣)

التسع أهتمام اليهود في الاندلس بالعلوم بفضل التسامح الاسلامي فظهر منهم علماء في النحو منهم ابراهيم بن سهل الاسرائيلي (٤)

شهد القرن السادس الهجري ظهور عدة شعراء يهود من ابرزهم موسى بن عزرا الذي لم تسعفه الظروف للزواج بمحبوبته ، فظل يكتب الشعر مدفوعاً بحبه والم الداخلي ، وجمع قصائده في ديوان ذكر فيه الخمر والهوى ولذات العيش على طريقة شعراء العرب.

اما يهوذ هاليفي فقد نظم أشعاره في أطروعناوين عربية ، والف رسالته المسماة الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل (٥)

١- المرجع السابق ، ص١٩٠

٢- المرجع السابق ص ١٩٦-١٩٧

٣- عمر فروخ ، أبن باجة والفلسفة المغربية ، بيروت ١٩٤٥، ص٣٥.

٤- المقري ، نفح الطيب ، ج٣ / ٥٢٤-٥٢٥.

٥- أنخل كونثالث بالنثيا Palencia ، تاريخ الفكر الاندلسي ، تعريب حسين مؤنس مكتبة النهضة العربية ١٩٤٥، ص ٤٩٨.

فضلا عن الشعراء وأدباء يهود كثيرون في الاندلس مشهورين قلدوا فن الموشحات والمقامات والازجال مثل سلمان بن زقبال ، وجود بن خياط وجود بن عباس ، وبرزت قسمونة اليهودية في فن الموشحات . (١)

أنطلقت حركة الترجمة في الاندلس وأسبانيا النصرانية في القرن السادس الهجرية ، وقد أستعانت الممالك الاسبانية الشمالية ببعض المترجمين اليهود للاقامة عندهم ، فأستعادت موسى السيفاردي المترجم والطبيب للملك الاسباني الفونسوالمحارب ، ثم أبراهام بن عزرا (١٠٨٩-١١٦٧م) ومترجمين يهود أخرون . كما أحتظنت الثغور الاندلسية مع حدود الممالك الاسبانية (الثغر الاعلى والاوسط والاسفل وعواصمهم سرقسطة ، وطليلطة ، وقورية) عدد من المترجمين للتفاهم مع الاسبان المجاورين لحدودهم منهم قسطنطين الافريقي وتلامذته (٢)

حذر المحتسب الاندلسي أبن عبدون (٣) من عدم بيع الكتب الاسلامية لليهود للحيلولة دون نسبتها اليهم ، ولكن دعوته رفضت !! فقد بيعت لهم الكتب ، مما أدى الى ظهور مجموعة من المترجمين اليهود الذين نقلوا العلوم من العربية العبرية . (٤)

وفي القرن الخامس الهجرية وضع اللغوي يهود أشويح الفاسي قاموساً عبرياً ومباحث قيمة عن الانشاء والتراقيم في اللغة العبرية (٥)

١- السيوطي / نزهة الجلساء من أشعار النساء ، تحيق صلاح الدين المنجد ، بيروت ١٩٨٥ ص٨٦-٨٧.

٢- خوان بيرنيت / الثقافة العربية الاسبانية ، ص ١٢٣-١٢٤.

٣- الحسبة / ٤٩٩.

٤- بيرنيت ، ص١٢١ .

٥- يوسف - اشباخ تاريخ الاندلس في عصر المرابطين الموحدين ، تعريب محمد عبد الله عنان ، مؤسسة الخانجي القاهرة ١٩٥٨- ص٤٩٩.

أنتشرت بشكل واسع بين أوساط الاسبان ، ويذكر أن القس مقائيل بن عبد العزيز والذي عاش في فاس في النصف الاول من ق ٦هـ / ١٢م بعد قدومه من الاندلس كنت بخط يده من الانجيل بالعربية (١) لاتزال مخطوطة ومحفوظة في خزانة ديرالاسكوريال Escorial في ضواحي مدريد لاسبانيا (٢).

يذكر المؤرخ عبد الملك المراكشي في ترجمة الفقيه احمد بن عبد الصمد بن ابي عبدة انه كان له مملوك من ابناء الروم قد علمه الكتابة ، فكان يكتب عنه كا مايؤلف ويصدر عنه من نظم او نثر . (٣)

انتهز الاندلسيون من تجار الجواري الذي يجيدون الاسبانية الخدع في بيع الجواري على انهن روميات لانهن جميلات ومرغوبات بالشراء في السوق لتجارة الجواري وتدربهن على التحدث بالاسبانية وقد ذكر لنا المحتسب السقطي (أن رجلاً أشترى جارية أوهم أنها أفرنجية لكي تشتري بمال كبير وأوهمت هي كذلك المشتري بأنها أفرنجية باللغة الافرنجية) (٤)

كما أحتفظ بعض الاندلسيين على أسمائهم النصرانية ، ومنهم الحسن بن فيرة (بالاسبانية يعني الحديد)(٥)

كما تأثير الزجال أبن قرمان في التاثيرات اللغوية والاجتماعية في مجال الازياء والطعام أختلطت العامة الاندلسية بالاعجمية او ما يرف الومانية Romances أو اللطينية Latin في مدن الاندلس وقد ذكر أبن حزم القرطبي أستغرابه من كون أحدى العائلات الاندلسية المشهورة وهي (دار بلي) لايحسن أهلها التحدث باللاتينية (٦)

١- بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٨٨.

٢- Simonet,historia de los mozarabes ,Madrid 1897-1903,pp.141 سيمونيت (تاريخ المستعربون)

٣- كتاب الذيل والتكملة ، تحقيق محمد بنشريفة ، بيروت بلا.ت.ج١، ق١،ص٢٤٠.

٤- رسالة في اداب الحسبة نشرها ليفي بروفنسال - باريس ١٩٣١، ص٥٥.

٥- ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، القاهرة ، مطبعة الفحامين ١٣٥، ص١٠٥.

٦- حمهرة انسان العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعة القاهرة – بلا.ت، ط٤، ص٤٤٣.

الظاهر ان أنتشار لغة الرومانش انما جاء نتيجة التسامح الذي سارعليه الفاتحون ، لانهم لم يفرضوا التحدث بالعربية بل تركوا الحرية الكاملة للطوائف والاديان التكلم باللغات المتداولة العامية منها وهو سرجمال جوهر نقاء الاسلام في الاندلس أكثر من ثماني قرون حتى ان عدد من مفردات اللغة الاسبانية سقطت في مؤلفات تاريخية عند ابن حيان القرطبي في (المقتبس) (وفي اشعار اهل الاندلس) ولاتزال مفردات اللغة العربية تعيش وتسكن في القاموس الاسباني وفي قلب وعقل ولسان كل الاسبان وعددها قرابة الالاف وكل كلمة بها الف لام أصلها عربي ، وأن الحروف الهجائية بالاسبانية هي الف بيتو Alfabeto والارقام العربية والصفر وغيرها العجيب كالمخدة والقبة والقلعة والدرب والمنار والمسجد وأنشاء الله والحمدلله وأمين والفواكه والعمارة والحرب والعادات .

فطن اليهود والنصارى وشبوا على عقيدة التسامح الاسلامي وشجعهم حبهم وعطشهم لروح التعايش مع العلماء والادباء وتثقفوا على مجالس العلم الاندلسية منهم أبو أسحاق بن سهل الاسرائيلي الذي كان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم (١) قرأ على ابي الشلوبيني وأبي الحسن بن الدباج وغيرهما ، صحب الاديب أبن سعيد المغربي الغرناطي أيام طلبة للعلم ، وقال عنه (قرأت معه في أشبيلية على أبي الحسن بن الدباج وغيره وكان من عجائب الزمان في ذكائه على صغر سنة ، يحفظ الابيات الكثرة من سمعه ، وبلغني أنه الان شاعر خليفتهم بمراكش)(٢)٠

ومن شعراء العبرية المشهورين كثيرون منهم مناحيم بن سروق الطرطوشي ودوناش بن لبراط القرطبي ، وأسحاق بن خلفون ، وأبن النغريلة ، وابو عامر يقوتئيل ، ويوسف بن يعقوب بن سهل ، وأبو موسى بن عزر.(٣)

١- المقري / نفح الطيب ، ج٣/٥٢٦.

٢- المغرب في حلى المغرب ، ج١/٢٦٩

٣- محمد بنشريفة / التسامح الديني ، منشورات الاكاديمية بالمملكة المغربية ، ص٣٥

ومن شعراء اليهود الذين قالوا شعراً بالعربية هم الياس بن صدود اليهودي الرندي ، ونسيم الاسرائيلي الاشبيلي شاعر ووشاح ، واسماعيل اليهودي وابنته قسمونة التي اعتنى بتاديبها وتعليمها واصبحت شاعرة ، ومن النصارى ابن المرعزي الاشبيلي من شعراء المعتمد بن عباد ومداحه (١)

أستفاد أهل الذمة من تعلم العربية لكسب الرزق فعملوا سفراء عند ملوك الاسبان مثل أبراهيم بن الفخار اليهودي الذي (ساد في طليطلة وصار رسولاً عن ملكها النصراني أذفونش الى أئمة بني عبد المؤمن بحضرة مراكش ، وكان والذي يصفه بالتفنن في الشعر ومعرفة العلوم القديمة والنطق)(٢)٠

حدثت مراسلات أخوانية بين المسلمين واليهود منها ماكتب به أيوب بن سليمان المرواني (من أهل ق٦ هـ) الى بسام بن شمعون اليهودي الوشقي (٣) الذي كانت تربط بينهما روابط صداقة تينة ، بلغت درجة الاخاء حتى اصبح مطمح نفسه الذي اختاره من بين ابناء جسه ، ويعلل أسباب هذا الاختبار بأن الرجل على خلق كريم وعلى جانب من الكرم . وكل مايطلبه أيوب بن سليمان في رسالته هذه أن يقضى وقتاً ممتعاً في ضيافة هذا اليهودي في منزله بين جواريه وقيانه يقول(لما كنت – وصل الله تعالي اخاءك وحفظك – مطمح نفسي ومنزع اختياري من ابناء جنسي ، على جوانبك اميل ، وارتع في رياض خلقك الجميل

١- ابن سعيد المغربي / المغرب في حلى المغرب ، ج٢٦٩/١.

٢- المصدر السابق ، ج٢٣/٢.

٣- المصدر السابق ، ج٦٠/١.

هنرتني خواطر الطرب والارتياح ، في هذا اليوم المطير الداعي بكاؤه الى أبتسام الاقداح ، وأستنطاق البم والزي ، فلم أرمعيناً على ، ومبلغاً الى ما هنالك الا حسن نظرك وتجشمك من المكارم ما جرت به عادتك ، وهذا يوم حرم الطراف فيه الحركة ، وجعل في تركها الخير والبركة ، فهل توصيل مكرمتك أخاك الى التخلي معك في زاوية ، متكئاًعلى دن مستنداً الى خابية ، ونحن حلال ذلك ننتجاذب أهداب الحديث الذي لم يبق من اللذات ، ونجيل الالحاظ فيما تعودت عندك من المحاسن والاستماع في أصناف الملاهي وأنت على ذلك قدير وكرمك تكلفة جدير) (١).

حظي اليهود بمكانة الاحترام والتقدير والتمتع بالطمانية والاستقرار في بلد الاندلس ممالم يحظى به بعض العرب المسلمين كالمروانيين (لقد أكرم أيوب المرواني من بدوي نزل عنده ، وقد تخيل أنه رسول من بعض ملوك المرابطين الملثمين ، أو ممن يلوذبهم ، فلما أعلمه غلامه أنه من بني أمية هاج عليه وأخذ رمحه وحلف الايبقى له في منزل ، فقال لغلامه : اذا سئلت عني فقل أنه من اليهود ، فأنه أمشى لحالنا)(٢)

أكتسب اليهود عادة الاغتسال بعد الاحتلام بالجنس بتاثير الاسلام في الاندلس(٣) كما بينت حمامات اليهود على غرار الحمامات الاندلسية ، أذ كانت حمامات برشلونة Barcelona في منتصف القرن الثاني عشر وحمامات جرونة Jerona في أخره ، شبيهة بالحمامات الاسلامية . وحافظ الغرناطيون على هذا النموذج افكانوا هم العمال الذين بنوا الحمامات الملكية في قصر الفونسو الحادي عشر AlfonsoXI في القرن الرابع عشر (٤)

١- المقري / نفح الطيب ، ج٣/ ٥٢٩.

٢- أبن سعيد المغربي / المغرب في حلى المغرب ، ج٦١/١.

٣- أشتور/ اليهود ، ج٢ / ٢٦٣.

٤- أربي ، ص٣٩٦.

وكان لليهود حمامات في الاحياء التي أختاروها لتخلصهم ، وتسمي (مقوت) وكان بها حوض عميق يحتوي الجسم كله ، وأذا كانت الحمامات الاسلامية الاندلسية تجاور في العادة المساجد ، فان حمامات اليهود كانت تجاور الكنيسة الاعظم في قرطبة (١)

أختار اليهود حماماتهم برغبتهم ، كمان الحمامات كانت مشتركة يدخلها المسلم والنصراني واليهودي ، وكان عمالها وخدامها من المسلمين يخدمون الزبائن من كل الديانات (٢)

أذن كان الاختلاط في الحمامات بين أهل الاديان شائعاً في الاندلس ، وكان النصارى يشترون المسلمات لخدمتهم ، كما كان خروجهم مع المسلمات أمرا مالوفاً ، ودلت الفتاوي على ان التشكى من الرفقة أذا كان المرافق من أهل السوء والشر .

١- أشتور / اليهود ج٢/ ٢٦٣-٢٦٦

٢- ثلاث رسائل في أداب الحسبة ، ليفي بروفنسال ، ص ١٨، ٤٨.

الخاتمة والاستنتاجات :-

١- أن مكونات الاندلس البشرية ، صارت مندمجة ولم يمكن فصلها .

٢- التسامح والتعايش والاحترام والامن والاستقرار والرخاء ساهمت في توحيد أهل الاندلس .

٣- مكونات المجتمع الاندلسي وعناصره تفهمت جيداً أن روح المحبة والالفة ضرورية لهم علماً أنهم مهاجرون من بلدانهم الاصلية في المشرق أو الغرب هاربون من الاضطهاد والتعسف والجهل والامية فوجدوا ضالتهم على الارض الاندلسي الذي فتح قلبه لاستيعابهم .

٤- المصاهرات عامل مهم ساعد في زرع التسامح واللقاء بين الاديان .

٥- دور العلماء والفقهاء وتوجيهات لهم وتوصياتهم من القران الكريم بالتوحد وأحترام الاديان ولكم دينكم ولي دين ساهمت في بث التفاهم والتعايش السلمي .

٦- دور الحكام في لاندلس ومنهم من أصول أسبانية كان نموذجاً للتسامح بين الاديان .

٧- أزدهار الحركة العلمية في الاندلس والاستعانة بخبرة ودراية أهل الاديان في الطب والصيدلة والبيطرة والزراعة والصناعة والتجارة أجبرت أهل الاندلس بالمشاركة من أجل العيش وبناء الاندلس المتسامح في عاداته وتقاليده .

٨- وجد الاسبان ضالتهم بالمسلمين الفاتحين لانهم حرموا من الكثير من القوانين العادلة التي كان يعيض أبائهم واجدادهم تحت ظل السيطرة والعبودية والجهل والظلم والفقر ، فعند دخول الاسلام أسبانيا أشرقت شمس التسامح والتعايش والاخاء .

٩- ساد المجتمع الاندلسي السلام والصفاء والوئام والاحترام والمحبة والتلاقح والتصاهر في الدماء والعادات والتقاليد والثقافة واللغوية فالكثير من الاسماء العربية دخلت اللغة الاسبانية واستذوقتها حلاوة وفكراً ورقة وحنيناً للتراث الاندلسي ويفخر الاسبان بانهم من اصول عربية اسلامية وكان لهم وسام شرف ومفخرة ويطلقون على العلماء الاندلسيون مثل أبن حيان القرطبي وابن الخطيب الغرناطي بالاسبان ويقولون على تاريخهم أسبانيا الاسلامية Espana Islamica فالقاضي أبي محمد الرشاطي ت . ٥٤٢هـ / ١١٤٧م يتحدث عن فتاة أسبانية جميلة من مدينة وقش Huesca معجباً بنهودها الجميلة فينشدها :

وجارية أبصرتها ناهدا في بلدة تدعى وقش
قلت : لمن نهداك ياهذه قالت برومیتها اتوشى

وتعنى لك ياقاضي نهودي الرائعة تمتع بها . (بلنثيا الفكر الاندلسي ، ص ٥٧٣-٥٧٤) كما أعجب الشاعر يوسف الرمادي بجارية عند خروجه من المسجد وكانت أسبانية جميلة ومملوكة لما شاهدها بسوق العطارين بقرطبة ينظر (أبن حزم القرطبي ، طوق الحمامة في الفة والالاف)

صور عديدة ورائعة بالتسامح بالعشق بين الايدان وبها عاش أهل الاندلس وتمتعوا ببلدهم اكثر من ثماني قرون ذهبية تنعم بالحرية والتسامح والاحترام وتسخر بالازدهار الثقافي العلمي في جميع المجالات .